



أشخاص

رباب الصدر

التقوى والإيمان... وخدمة الإنسان



الإمام موسى الصدر دفع بشقيقته، ابنة ساحة العمل العام، ضمن مشروعه لاستنهاض المرأة الجنوبية

في لبنان ابتعدت عن العمل السياسي ورفضت التوزيع، وفي إيران تدعم محمد خاتمي «بسبب انفتاحه وإصلاحاته الداخلية»

وترى أن «إنجازاتها أعطت أملاً للمستقبل»، وحققت كثيراً من أهداف الإمام الصدر «وإذا استمروا هكذا فسيحقق ما بقي منها».

لم تبرد قضية الإمام الصدر في قلب رباب والعائلة. يقينها بأنه حيا يرزق، تتولد من مزيج من العاطفة والمنطق و«المعلومات». «جهات رسمية عربية وغير عربية محط ثقة أكدت أنه محكوم بالسجن المؤبد في ليبيا. هناك قرار عالمي وراء إخفائه، بتوصيات عربية وغير عربية». وبما «حرصت العائلة على عدم اتخاذ أي موقف سلبي يحقق رغبة المنفيين». تأسف رباب الصدر لأن «الدولة كانت في أضعف أيامها، حين داسها الجميع في حرب طائفية بغیضة». تتهم «الجميع بالإهمال والتقصير» في لبنان والدول العربية وحتى إيران: «فلو أن الإمام الخميني حي لما كان سيستكت». لم تنقطع رباب عن إيران، تحتفظ لها بمكان خاص في نفسها، وكذا في لهجتها وحجابها وأدبياتها. تدعم في السياسة الرئيس محمد خاتمي «بسبب انفتاحه وإصلاحاته الداخلية». تفتخر بانها

خدمت لبنان «أكثر من كثيرين ولدوا فيه». لها من البنين 4، وحين تسأل عن البنات لا ترد في القول: «كتار... كلهن بناتي».

5 تواريخ

1944
الولادة في قم (إيران)

1962
تولت إدارة «بيت الفتاة» وتزوجت في العام نفسه الأديب حسين شرف الدين الذي «كان سنداً حقيقياً في كل المفاصل»

1978
تغييب الإمام موسى الصدر خلال زيارة إلى ليبيا، أحدث تحولاً كبيراً في حياتها

1993
منحها الرئيس الراحل إلياس الهراوي وسام الأرز الوطني من رتبة فارس

2009
تهيئ لشهادة الدكتوراه في كلية الآداب - قسم الفلسفة في الجامعة اللبنانية، هي الحاملة دكتوراه فخرية من الجامعة اللبنانية الأميركية

الصدر بل شقيقته. كانت تنقضي التجربة، وأقف أمام تحدي إثبات الوجود». ترد الصدر صموئياً وبناتها إلى انتماؤها الذي يمدّها بالقوة والإيمان بالله، «وتعطي بأهل بيت الرسول، قدوتنا الحسنة في السراء والضراء».

أوائل الثمانينات، حاولت أن تجمع بين السياسة والعمل الاجتماعي، فانضمت إلى هيئة رئاسة حركة أمل، حتى توأصل «مسيرة الإمام مع رفاقه». إلا أنها لم تنسجم مع السياسة. شعرت بأن إنتاجها سيتوقف، فاستقالت. رفضت التوزيع 8 مرات، لأنها لن تسكت على سلوك «بعض السياسيين الذين لا يخدم نهجهم البلد»، فهم يرون أنفسهم أولاً ولبنان ثانياً «وأنا أرى العكس تماماً». رغبت في أن تعمل دائماً لله ويبقى ضميرها حياً. لا تقفل بابها وهاتفها في وجه أحد، ولا تسعى إلى منافع شخصية، وهذا ما تقبته تجربتها في «نكران الذات طيلة نصف قرن، فلماذا الوزارة إذا؟». كذلك فعلت حين عرض عليها الرئيس الراحل إلياس الهراوي مقعداً نيابياً في تعيينات ما بعد الطائف، وقالت له: «اطلبنى لعمل خير في منتصف الليل في جونه أو الأشرقية أو أي مكان ستجديني حاضرة». ما زالت ترفض حتى الساعة العمل السياسي، كي لا تحرمها المواقع التواصل مع الأيتام والأهالي. «أرى الله في خدمة الناس والسياسة ستحرمني هذه الرؤية». تحرص على البقاء على «مسافة واحدة من الجميع». تنظر بفخر إلى «الوحدة داخل الطائفة الشيعية» وتعدّها «نصراً كبيراً»

«الهائلة». وتحدثت بشغف عن الطالبات اللواتي تمكن من متابعة التحصيل العلمي «ومنهن المهندسة والشاعرة والرسمية، إضافة إلى عشرات ربوات المنازل اللواتي غيرت حياتهن بفضل هذا البرنامج». اضطرت المؤسسة إلى النزوح من الجنوب عام 1978، بسبب الاجتياح الإسرائيلي والوضع المضطرب أمنياً و«سياسياً»، واستقرت في مدينة الزهراء بخلة. بعد أشهر قليلة، سافر الإمام موسى الصدر منطلقاً من منزل رباب إلى ليبيا، وقال لها إنه ينوي الغياب أياماً قليلة و«لكنني قد أمدد كالعادة». ولم يكن يعلم بأنه سيفعل - مكرهاً طبعاً - ثلاثين عاماً وأكثر. تقول رباب عن تلك المرحلة: «عشت أشهراً من الضياع. شعرت بأن كل شيء انتهى». لكن، حين كاد المشروع - الحلم يتوزع يمنة ويسرة سألت نفسها: «إذا أصيب شخص بمصيبة، فهل يترك الصلاة؟ نحن عملنا مثل الصلاة وعلينا أن نكمل». تشعر بالامتنان لمن تسميهم «أصدقاء الإمام» الذين وقفوا إلى جانبها. لم تكن الانطلاقة الثانية سهلة، إذ استقبلت المؤسسة التي حملت اسم الإمام الصدر فيما بعد، عدداً كبيراً من الأيتام، وخصوصاً مع ارتفاع عددهم نتيجة العدوان الإسرائيلي. «مرّت علينا أيام عصيبة، لم تكن نملك ثمن دواء أو خبز لنطعم هؤلاء الأطفال». حفزها هذا الوضع على التوجه إلى بلاد الاغتراب لجمع التبرعات، وحصلت على أذونات من المراجع لأخذ الحقوق الشرعية. «كنت أواجه مشكلة أنني لست الإمام

في عام 1963، أسس الصدر «بيت الفتاة» الذي ضمّ حينها عشر طالبات فقط، وعهد به إلى رباب. «كان هناك تلميذات أكبر مني، كنت المعلمة والمديرة والمحاسبة، أشارك في تنظيف المكان، ثم أقل الطالبات بسيارتي إلى منازلهن». كان النشاط النسائي يومذاك شبه معدوم في الجنوب الواقع ضحية إهمال سياسي واجتماعي من جهة، واعتداءات إسرائيلية من جهة أخرى. تقول رباب: «اخترنا الجنوب لأنه الأكثر حرماناً. بدأ الأهالي يتشجعون فيرسلون بناتهم إلى المعهد بضمانة أن السيد هو صاحب المشروع وأخته مديرتة». ورغم أن السيد كان يرعى المؤسسة الفتية لحظة بلحظة، فإن الطريق لم تكن معبدة بالورود. «كانت تواجهنا مشاكل وعراقيل في الدوائر الحكومية، وتضييق من النفوذ السياسي، ومشاكل بين الطلاب تبعاً لولاءاتهم السياسية». تقول إنها تعزف «سيمفونية خدمة الإنسان» منذ عشرات السنين ولم تتعب. والعالمون معها «أوركسترا على أفرادها أن يبدعوا وإلا ظهر النشاز». هكذا، حرصت «الست» على تطوير الجهاز الإداري، إدارياً وفنياً، من خلال الدورات المتخصصة في لبنان وإيطاليا، وعبر المشاركة الفاعلة في مؤتمرات عربية ودولية. لم تترك المؤسسة باباً للعمل الإنساني والتنموي لم تطرقه: الخياطة والتدبير المنزلي والإسعافات ورعاية الطفل والأشغال اليدوية والتمريض والإدارة التربوية. أما مكافحة الأمية، فتعدّها الصدر من إنجازات المؤسسة

منهاك الأمين

«أرى الله عندما أكفك دعمة، وأخدم محتاجاً». هكذا، يكون الدخول إلى عالم رباب الصدر للوهلة الأولى سهلاً،

بشجّع على فتح صناديق مغلقة. إلا أن الغوص فيه مسألة معقدة. السيدة التي لا تؤمن بالتقاعد، تنقن السير بين حقول الألام اللبنانية بحثاً عن الورود. تجيد بامتياز فنّ الدبلوماسية، قاطعة الطريق - بتحفظ - على كثير من الأسئلة لدى محاوريتها. ليس ذلك طلباً «للسفرة»، بل اقتداء بنهج خطه لها الشقيق المغيب، الإمام موسى الصدر، منذ نصف قرن، حين أكل إليها قيادة «الجناح» النسائي في حركته اللبنانية التي انطلقت بعد وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين عام 1959.

حينئذ، غادر الإمام مسقط رأسه، قم الإيرانية، إلى أرض الأجداد، واستقرّ في صور. اصطحب معه أخته رباب التي تولى رعايتها بعد وفاة والدهما السيد صدر الدين، وهي ابنة 8 سنوات، فكانت علاقتها به «خاصة جداً». مثلت رباب مشروعاً للسيد الذي دفع بشقيقته، ابنة العائلة الدينية العريقة، إلى ساحة العمل العام، ضمن مشروعه لاستنهاض المرأة الجنوبية. أراد أن يؤكد للأخريين أنه «وعائلته في المقدمة لا ينظرون على الناس»، وأن يخاطب المترددين والمترددات: انظروا رباب، محببة ومتزوجة وحامل وتنزل إلى العمل.